وفي ضوء هذا الواقع بدأت الزعامة الاسرائيلية تخشى انحسار موقعها، كرصيد استراتيجي وحيد للولايات المتحدة في المنطقة، خاصة وأن هذا الدور كان يعني، حتى حرب تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣، حرية واسعة للتحرك الاسرائيلي مقابل إعفاء الولايات المتحدة من القيام بمهمة الحماية المباشرة لمصالحها. وأصبحت المسألة الأساسية، التي تشغل بال هذه الزعامة، هي التكلفة التي تتحملها أميركا من أجل «صيانة» دولة اسرائيل ونموها. فإذا أخذنا بعين الاعتبار أن ازدياد حجم اسرائيل ودورها سيزيدان بالضرورة من حجم اعتمادها على المساعدات الأميركية، وأن حجم الاعتماد على الخارج كبير ويرتبط به مصير الدولة، فإن اسرائيل لا تستطيع أن تنهج نهج الدولة التابعة، أي الدولة المحمية، أو بتعبير أدق، لا تبدو كذلك. فليس من المنطقي أن يكون مطلوباً من الولايات المتحدة أن تحمي مصالحها وتحمي اسرائيل أيضاً. ثم إن ازدياد مؤشرات التبعية الإسرائيلية (الضمانات الأمنية الممنوحة لاسرائيل في مذكرة التفاهم الأميركية ــ الاسرائيلية الملحقة بمعاهدة السلام مع مصر، وقيام الولايات المتحدة نفسها ببناء مطارين عسكريين في النقب، وضمانات بشأن التزويد بالنفط، الخ...) يشير إلى أن إسرائيل أصبحت في وضع المطالب بالضمانات، أكثر مما هي في وضع عارض الخدمات.

ومصدر القلق هنا واضح، «فكلما تراجعت اسرائيل قلّت قيمتها في نظر أميركا... واسرائيل المقلّصة لا تستطيع أن تتطلع إلى المساعدة الأميركية الضخمة ذاتها، التي ستحتاج إليها إلى الأبد، بل ستنقلب مصدر إزعاج وستنبذ... فقط كحليفة مستقلة ذات قوة كبيرة ضرورية لأمن الولايات المتحدة... ولن تستطيع اسرائيل أن تتمتع بتعاون أميركي لمدة طويلة»[٧].

في ضوء ذلك، أخذت اسرائيل تركز على ترديد نغمة الخدمات التي يمكن أن تقدمها إلى الولايات المتحدة. وكثفت المجموعات الصهيونية والتيار المؤيد لاسرائيل، منذ تولي إدارة الرئيس رونالد ريغان مهام الحكم في الولايات المتحدة، كثفت من الجهود المبذولة للتركيز على طروحات تبرز قيمة اسرائيل في المخطط الاستراتيجي العام، باعتبارها الرصيد الاستراتيجي الوحيد المؤمَّن في المنطقة، وأحد العوائق الأساسية أمام تحقيق الأهداف السوفياتية، ومانعة الصواعق بالنسبة للدول الغنية بالنفط وللأنظمة الموالية للغرب[٨]. وكثرت الاشادة بقدرتها على تجنيد ٧٠٠ ألف جندي في حال الحرب، وبسلاحها الجوي الذي يعتبر الأفضل في العالم، وكونها قاعدة مثالية للتزود بالوقود، ومخزناً للتموين، وجيشاً تكتيكياً للولايات المتحدة في المواجهة السوفياتية ــ الأميركية[٩].

ويرى هذا التيار أنه ليس من مصلحة أميركا ازعاج صديق حليف كاسرائيل، بالضغط عليه، من أجل الانسحاب من أراضٍ سوف يسيطر عليها «إرهابيون وشيوعيون»، ومن أجل إرضاء أنظمة عربية غير مستقرة أساساً، كما أنه ليس من مصلحة الولايات المتحدة إغراق تلك الأنظمة بأسلحة متطورة، قد تستعمل ضد اسرائيل بالذات، أو قد تقع في أيدي ثوار معادين لأميركا، كما حصل في إيران بعد سقوط نظام الشاه. في المقابل، نشط تيار آخر، خاصة بعد التحولات التي طرأت على الساحة المصرية والتي اتجهت كلها إلى الانحياز للطرف الأميركي في صراع القوة الأميركي ــ السوفياتي،